د. أيمن بوطرفة | جامعة أم البواقي، الجزائر | 2023\2024

البرنامج السنوي لمقياس " ابستيمولوجيا العلوم الانسانية " سنة أولى ج.م.ع.أ

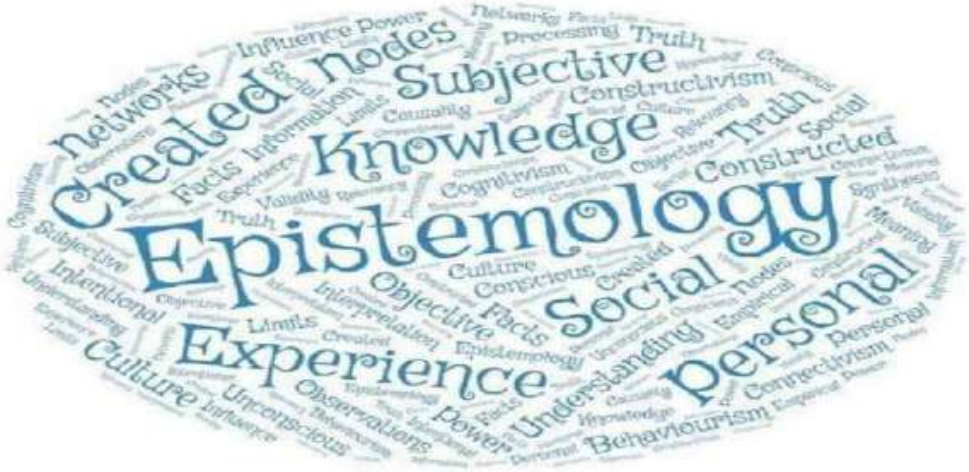

المحور 1: السياق المفاهيمي والتاريخي

1. مفهوم الفلسفة، مباحثها ومجالاتها
2. مفهوم الابستيمولوجيا وسياقاته
3. مفهوم العلوم الانسانية
4. في تاريخية العلوم الانسانية

المحور 2: اشكاليات في ابستيمولوجية العلوم الانسانية

1. اشكاليات طبيعة المعرفة
2. إشكالية المنهج في العلوم الانسانية
3. اشكالية الموضوعية في العلوم الانسانية

المحور الأول:
السياق المفاهيمي و التاريخي

1. مفهوم الفلسفة :

ما الفلسفة؟ ماذا نعني بالفلسفة؟ ما المقصود بالفلسفة؟ ذلك أن التساؤل عن ماهية وتعريف الفلسفة هو سؤال متداول ودائم الحضور يواجه باستمرار المشتغل بالفلسفة سواء تعلق الأمر بدارسها أو مدرّسها، طالبا أو استاذا، مطالعا على سبيل الفضول أو محترفها لها. ذلك أن الفلسفة تبدو في ما هو شائع مجالا غامضا، معقّدا، وغير متداول في حياتنا اليومية، لذا فإن أول ما يواجه دارس الفلسفة هو سؤال تعريف الفلسفة: فما الفلسفة؟ وماذا نعني بالفلسفة؟

تحديد تعريف واضح عن الفلسفة يتطلب الاجابة عن ذلك من خلال مستويين، الأول شكليا "اللغة" والثاني مضمونا أو مفاهيميا.

1. 1. لغويا: الفلسفة، من الكلمة اليونانية القديمة φιλεctοσοφία/ philosophía تتكون من φιλectéω / philéô "الحب"، وσοφία / sophía، "الحكمة أو المعرفة"، وتعني حرفيّا "حب المعرفة" وعادةً "حب الحكمة". ذلك أن الفلسفة لا تعني "إمتلاك" الحكمة بقدر ما تعني محبتها والسعي الى التحلي بها.

1. .2. مضمونا: يُعنى بالفلسفة مجال فكري متمايز، يبحث عن فهم العالم والحياة في كليتها وجزئياتها من خلال التفكير العقلاني والنقدي، بحثا عن المعنى والغاية من أنظمة التفكير الإنسانية والعالم والحياة، في محاولة لتأسيس نظريات فهم ومعنى بطريقة عقلانية. فالهدف الأساسي من الفلسفة هنا يصبح المساعدة على فهم العالم والحياة وذواتنا، بطريقة عقلانية، بعيدا عن الأفكار المتوارثة والأحكام المسبقة الغير متحقق منها.

تنطلق الفلسفة من التأمل والمساءلة النقدية التي تنطلق الدهشة والحيرة أمام معضلات الحياة والاشكاليات الكبرى التي تواجهنا في الحياة اليومية وما تولده من قلق وجودي، باحثة عن المعنى الكلي من حركة الحياة والعالم والتاريخ.

تكنّى الفلسفة ب"أم العلوم"، لانها تتداخل مع كل العلوم الاخرى في مجالات بحثها، فالفلسفة تبحث في الكليات، بينما العلوم تختص بالجزئيات –مجال بحثها محدد بموضوع دقيق–، كما أن العلاقة بين العلوم والفلسفة تاريخية قوامها أنه منذ القديم تفرعت عن الفلسفة كل العلوم الاخرى وانفصلت عنها تدريجيا، بداية من الرياضيات والعلوم الدقيقة وصولا الى العلوم الانسانية والاجتماعية. واليوم تصنف الفلسفة كأحد فروع ميدان العلوم الانسانية والاجتماعية.

تهتم الفلسفة عموما بأنظمة التفكير البشري بمختلف أشكالها وأنواعها، وتمتد مجالات بحثها الى مختلف مجالات التفكير والحياة الانسانية، فنجد الفلسفة تهتم بالتفكير المنطقي والتفكير العلمي، فتهتم بالسياسة والمجتمع والاقتصاد والثقافة والفن وغيرها ...

تاريخيا ترتبط الفلسفة بالعقلانية، حيث أن بدايتها في اليونان عنت تحولا من التفسيرات الاسطورية عن العالم "الميثوس"، الى التفسيرات العقلانية "اللوغوس". وتجد الفلسفة بهذا نفسها دائما في صراع مع التفسيرات الاسطورية والأفكار المسبقة الاجتماعية التي تدعي امتلاكها للحقيقة الكاملة الجاهزة في كل مجالات الحياة، وهو الأمر الذي ترفضه الفلسفة وتجعل من مهمتها تصحيح هذه المفاهيم وكشف حقائق الأمور المسكوت عنها.

من الاتهامات الشائعة التي تكال للفلسفة أنها معرفة غامضة، غير واضحة، غير مفهومة، معقدة. وأصل هذا الاتهام أن الفلسفة تخوض في اشكاليات ومواضيع مسكوت عنها في الخطاب اليومي الاجتماعي، اضافة لأنها تطرح أسئلة شجاعة بطريقة يمكن تخترق "الطابوهات" ومنظومات "الحقيقة" الموروثة قبليا، كاشفة عن "المسكوت عنه" حول الحياة والعالم. ذلك أن العالم والحياة نفسها تظهر أنها غامضة ومعقّدة بطبيعتها، والفلسفة هنا هي –عكس ما يشاع عنها– محاولة لتبسيط هذا التعقيد واختزال العالم في مجموعة مبادئ عقلية، وليس تعقيده –كما يشاع من نقادها–.

تُتّهم الفلسفة أيضا بأنها لا تنتج علما ملموسا، لكن التاريخ يثبت أنها على مر القرون قد أنتجت بعضًا من أهم الأفكار والمنظومات، وكانت مساهمتها في مختلف المنعطفات التاريخية جلية

لا يُمكن نكرانها، وآثارها واضحة بتجلٍ في مختلف المجالات من سياسة وعلوم ورياضيات وفنون ونظريات اقتصادية واجتماعية وغيرها ...

يلاحظ أنه لا يمكن تحديد تعريف نمطي عن الفلسفة لان تعريفاتها تختلف باختلاف الفلاسفة والفلسفات التي تتناولها، لكن هذا التنوع والاختلاف لا يعني ضرورة ضبابية وعدم استقرار مفهوم الفلسفة بقدر ما هو مرتبط بطبيعة الفلسفة وحقل اشتغالها.

لا تعطي الفلسفة اجابات واضحة نمطية، لا بل انها تعتبر ذلك من "المحذورات" بما كان، لأن الفلسفة تهتم قبل كل شيء بطرح الأسئلة الصحيحة للحصول على الأجوبة الصحيحة، فلا تجعل من الحصول على الجواب شرطا بقدر ما تهتم بطرح السؤال بطريقة صحيحة ثم الانتقال للاجابة عليه بما أمكن بطريقة منطقية وموضوعية. وعلى عكس العلوم الاخرى فان الفلسفة لا تطرح أسئلة جزئية بل انها تحاول ان تطرح أسئلة كلية اضافة الى اهتمامها بالأسئلة الجزئية، فالفلسفة لا تتطرق لمشكلات دقيقة بالمفهوم الحرفي للكلمة، بل تهتم بالإشكاليات، والإشكاليات تحتمل أكثر من جواب كما لا تحتمل اجابة واحدة محددة. ومن هنا خصوصية السؤال والإشكالية الفلسفية التي تصنع خصوصية الفلسفة وتميزها عن باقي الفروع العلمية الأخرى.

يهدف كل انسان الى تحصيل السعادة، والفلسفة تعمل على الوصول الى هذا الهدف من خلال تحصيل الحقيقة، فالفلسفة ترى بأن الوصول الى السعادة يتم من خلال البحث عن الحقيقة. لذا فإن الفلسفة أيضا تهدف الى الوصول الى السعادة من خلال البحث عن الحقيقة.

بتعريف مختصر يمكن القول أن الفلسفة تهدف لإيجاد نماذج فهم وتفسير مُؤسسة عن العالم، الحياة والانسان، متجاوزة الأفكار المتوارثة والحقائق الجاهزة الغير متحقق منها، وذلك من خلال طرح التأمل العقلي والتساؤل عن كل ما يتعلق بالمعرفة، الوجود، ومختلف القيم التي تؤطر حياة الانسان.

مباحث الفلسفة:

تعتبر الفلسفة المجال المعرفي الأوسع والأكثر تداخلا مع كل المجالات الأخرى، ذلك أنها تتطرق لمختلف الأسئلة والإشكاليات التي تحيط بمختلف جوانب حياة الانسان، باحثة في كل ذلك عن المعنى والنماذج التفسيرية الذي تساعد في الفهم وادراك حقائق الامور، واذا ما أريد ترتيب اهتمامات الفلسفة في مجموعة مباحث ، فانه يمكن تصنيفها الى ثلاث كما هو شائع:

1. **مبحث الوجود**: "ontology" "الانطولوجيا"، وسمي بمبحث الوجود لأنه يبحث في الأسئلة الكبرى لوجود الانسان، ويعالج الاشكاليات "الميتافيزيقية"، طارحا أسئلة تتجاوز الوجود المادي للانسان، من قبيل لماذا نحن موجودون؟ ما مصيرنا في هذه الحياة؟ ما هو سبب وجودنا؟ ما سبب وجود العالم؟ ما أصل الوجود وما الغاية منه؟ ما المعنى من الوجود؟

يبدأ مبحث الأنطولوجيا، بسؤال ما الوجود؟ وهو السؤال الأول الذي تبتدأ به ومنه "المعرفة" عموما في أدبيات الفلسفة.

يضم مبحث الانطولوجيا الأسئلة التأملية بإمتياز، حيث يتعرض لأخطر الأسئلة التي تواجه الانسان وأكثرها اثارة للقلق. وهو بهذا أكثر مباحث الفلسفة تعبيرا عن عمق التأمل الفلسفي.

تبحث النماذج التفسيرية الناتجة عن مبحث الوجود عن تفسيرات للمعنى والغاية من الوجود الانساني، كما تهدف لإعطاء الانسان تعريفا حول ذاته ومصيرها وطبيعة وجودها، وهو الأمر الذي يتداخل ويتقاطع مع التفسيرات الدينية.

2. **مبحث المعرفة**: قد يسمى أيضا ب"الابستيمولوجيا" Epistemology أو "نظرية المعرفة" gnosiology ، وهو مبحث يتطرق الى طبيعة المعرفة وشروطها وكيفيات ادراكها والوصول إليها، فيهتم هذا المبحث بدراسة ماهية المعرفة وطبيعتها وكيف يمكن للإنسان تحصيلها في الواقع، فهو مبحث يهتم بالوصول الى طرائق المعرفة الصحيحة التي تقود الانسان الى الوصول الى الحقيقة، وقوانين الحياة ومعايير التمييز بين الحقيقة والمعارف الزائفة والمغلوطة.

بهذا فإن مبحث المعرفة يتداخل مع كثير من المجالات المعرفية الأخرى، خصوصا تلك التي تنتمي الى حقل العلوم الانسانية والاجتماعية، فهو بهذا ليس حكرا على الفلسفة بقدر ما أنه متداخل مع باقي المجالات المعرفية الأخرى وعلى رأسها مختلف فروع الانسانيات والاجتماعيات.

3. **مبحث القيم** : أو الاكسيولوجيا Axiology ، يهتم هذا المبحث باشكالية القيم في حياة الانسانية، حيث يدرس مختلف القيم والمعايير التي توطر حياة الانسان الفردية والاجتماعية، والتي تحكمه علاقته بذاته والآخرين. وكل قيمة بما هي قيمة تحتمل حدا سالبا وموجبا، فالخير يقابله الشر، والصحيح يقابله الخطأ، والجميل يقابله القبيح وهكذا. وعلى هذا تظهر ثلاثة مجالات معرفية تمثل الفروع الرئيسية لمبحث القيم:

3. 1. قيمتي الصواب والخطأ، يدرسهما: **المنطق**.

3. 2. قيمتي الخير والشر، تدرسهما: **فلسفة الأخلاق**.

3. 3. قيمتي الجميل والقبيح، تدرسهما: **فلسفة الجمال**.

مجالات الفلسفة:

في الفلسفة المعاصرة لم تعد "المباحث" هي التقسيم الرائج للفلسفة ومجالها المعرفي، بل أصبحت تقسم الى مجالات معرفية بحسب معايير التخصص والمرحلة التاريخية. فمن ناحية ***التخصص*** نجد "الفلسفة السياسية"، "فلسفة العلوم"، "فلسفة التاريخ"، "المنطق"، "فلسفة الفن" وغيرها...

كما أنه من الرائج أيضا وجود ***تقسيمات ثقافية*** للفلسفة فنجد "الفلسفة الاسلامية"، "الفلسفة المسيحية"، "الفلسفة الأوروبية"، "الفلسفة اليونانية" وغيرها ...

تقسم الفلسفة الى مجالات أيضا بناء على ***معايير تاريخية***، فهنالك "الفلسفة الكلاسيكية"، "الفلسفة الوسيطية"، "الفلسفة الحديثة"، "الفلسفة المعاصرة" وغيرها ...

2. مفهوم الابستيمولوجيا

تنتمي الابستيمولوجيا الى مجال الفلسفة والعلم على حد السواء، فهي تنتمي الى مبحث المعرفة في الفلسفة او هي نفسها تجسد مبحث المعرفة، وهي ايضا تظهر كمجال معرفي موجود في مختلف العلوم الطبيعية منها والانسانية، وهي بهذا تمثل حلقة وصل بامتياز بين العلوم والفلسفة، وفيها يتجلى تأثير الفلسفة على العلوم ، والعلوم على الفلسفة.

لغويّا تُعرّف الابستيمولوجيا epistémologie وهي مصطلح جديد في حقل الدراسات المعرفية، مصاغة لغويا من كلمتين يونانيتين، episteme التي تعني "العلم" أو "المعرفة العلمية"، و"logos" يعني "نظرية" أو "دراسة نقدية". وبناء عليه يكون لفظ إبستمولوجيا في أصله الاشتقاقي "نظرية العلم" أو "نظرية المعرفة العلمية".

اما تعريفها الاصطلاحي فهي كما يعرفها بها لالاند في قاموسه الفلسفي : تعني هذه الكلمة فلسفة العلوم، ولكن بمعنى أكثر دقة، فهي ليست الدراسة الخاصة لشتى المناهج العلمية، لأن موضوع هذه الدراسة هو علم مناهج البحث، وهو جزء من المنطق، كما أنها ليست أيضا تأليفا أو استباقا حدسيا للقوانين العلمية.

إنها- أساسا- ذلك المبحث الذي يعالج نقدية مبادئ العلوم المختلفة وفروعها ونتائجها بهدف التوصل إلى إرساء أساسها المنطقي، كما أنها تنشد تحديد قيمة هذه العلوم ودرجة موضوعيتها".

يجدر التنويه أن مصطلح الإبستمولوجيا في اللغة الإنجليزية يرادف مصطلح "نظرية المعرفة"، أما في اللغة الفرنسية، فهو مختلف عنه، حيث يعني "فلسفة العلوم".

يظهر مصطلح الابستيمولوجيا كمفهوم متداخل مع مفاهيم "فلسفة العلوم" و"نظرية المعرفة" و"الميثودولوجيا" ، ومنه ضرورة تحديد علاقته بكل من هذه المفاهيم.

الابستيمولوجيا وفلسفة العلوم :

ترادف المدرسة الفرنسية بين فلسفة العلوم وبين مفهوم الابستيمولوجيا، لكن مفهوم فلسفة العلوم يبدو مفهوما متمايزا من حيث أنه ينتمي لحقل الفلسفة الخالص، ف"فلسفة العلم" يعني تناول العلوم بطريقة فلسفية. وصحيح أن فلسفة العلوم تضم أهم النظريات الابستيمولوجية في سياقها، ذلك أن تلك النظريات هي فلسفية في جوهرها.

ومنه القول ب***التداخل والارتباط*** الوثيق بين الابستيمولوجيا ومفهوم فلسفة العلوم، لا بل أنه يصل الى حد التطابق على حد رؤية المدرسة الفرنسية ومن أخذ بمنظورها. فيظهر أن مفهوم "فلسفة العلوم" هو الأقرب للتطابق مع مفهوم "الابستيمولوجيا".

الابستيمولوجيا ونظرية المعرفة :

تمثل نظرية المعرفة مجالا معرفيا أوسع من "فلسفة العلوم"، حيث يصنف التقسيم الكلاسيكي لمباحث الفلسفة "فلسفة العلوم" كفرع من فروع "نظرية المعرفة"، واذا كان المدرسة الانجليزية ومن أخذ بمنظورها ترادف بين "الابستيمولوجيا" و"نظرية المعرفة"، فان الابستيمولوجيا بهذا المعنى تتوسع لتشمل المجال الواسع للمعرفة، والتي تمثل العلوم جزءا منها.

واذا كان هنالك من يرى بضرورة التفريق بينهما من حيث أن الابستيمولوجيا تتطرق الى المعرفة العلمية، في حين تعنى نظرية المعرفة بكل أشكال المعرفة، فإن هنالك من يرفض هذا التصور، ليجعل من كل مجال نظرية المعرفة حقلا للدراسات الابستيمولوجية.

تاريخيا يمكن القول أن العلاقة بين الابستيمولوجيا ونظرية المعرفة علاقة ***انفصال واتصال في آن واحد***، فالابستيمولوجيا فعلا مجال أوسع من أن يتطرق الى النظريات العلمية المؤسسة حصرا، لكن التطور التاريخي للعلوم وتطور مصطلح الابستيمولوجيا ذاته وسياقه التاريخي، فرض ارتباطه بالعلوم والنظريات العلمية المختلفة، من منطلق أن التخصص الدقيق أصبح هو صفة العلوم والمعرفة المعاصرة. وقد حدث في هذا السياق أن اصبحت الابستيمولوجيا مجالا ملحقا بالعلوم،

فأصبح الحديث عن ابستيمولوجيا العلوم الدقيقة، ابستيمولوجيا العلوم الحية، ابستيمولوجيا العلوم الانسانية و... ، في حين بقيت "نظرية المعرفة" في مجال بحث الفلسفة التقليدي الواسع.

الابستيمولوجيا والميثودولوجيا :

الميثودولوجيا أو علم المناهج، والمقصود بها مناهج العلوم، هي علم يختص بدراسة مناهج العلوم، طبيعتها، خطواتها، ونتائجها، لتقييمها ونقدها وتحديد مدى قيمتها. وهذا ما يبدو متداخلا مع تعريف الابستيمولوجيا الذي مفاده أنها دراسة نقدية للعلوم، ذلك أن الدراسة النقدية للعلوم تتطلب دراسة منهجها، من منطق أن كل ما يطلق عليه "علما" يجب أن يكون قائما على أساس "منهج علمي". لكن السؤال هنا هل الميثودولوجا تطابق الابستيمولوجيا؟

التمايز بين الابستيمولوجيا والميثودولوجيا قائم، فالميثودولوجيا تختص بدراسة المناهج فقط وهي بهذا أضيق من الابستيمولوجيا التي لها مجالات أوسع تجعلنا نقاربها إما مع "فلسفة العلوم" أو حتى مع "نظرية المعرفة". فالابستيمولوجيا تتناول بالدرس والنقد مبادئ العلوم وفروضها ونتائجها لتحديد قيمتها وحصيلتها الموضوعية، في حين أن الميثودولوجيا تقتصر بالدراسة على المناهج العلمية دراسة وصفية تحليلة، وهي بهذا أقرب الى الدراسة العلمية التقنية من الدراسة الفلسفية الابستيمولوجية.

ملاحظة:

لزيادة المعلومات وتوسيع المعارف والمدارك حول هذا الموضوع يمكن العودة ل:

- ***محمد عابد الجابري، مدخل الى فلسفة العلوم، (الفصل الأول)***
- ***محمد وقيدي، ماهي الابستيمولوجيا، (الفصل الأول)***

3. مفهوم العلوم الانسانية

تقسم المعرفة بشكل عام الى معرفة مبرهن عنها، وهي تضم العلوم والفلسفات ومختلف المعارف النظرية، ومعرفة غير مبرهن عنها، وهي المعرفة المتداولة في السياق الاجتماعي والثقافي من الموروثات الى لغة السوق وغيرها ... ، ويمكن القول اختزالا أن المعرفة تقسم هنا الى معرفة علمية ومعرفة غير علمية، وتقسم المعرفة العلمية كذلك الى صنفين علوم معنوية وعلوم مادية، ويتبع تقسيم هاذين الفرعين الى فروع أخرى. حيث تقسم العلوم المعنوية كذلك على مجالين: الأول هو العلوم معيارية، وتضمن المنطق والقانون والأخلاق وتعنى بما يجب أن يكون، والثاني هو العلوم الانسانية وتختص بدراسة ما هو كائن، حيث تعنى بشؤون الانسان المعنوية وأحواله النفسية والوجودية وتتطرق الى النظم الاجتماعية والثقافية وكل ما يشمل الانسان في غير أبعاده المادية –التي تختص بدراسة العلوم الطبية وعلوم المادة الحية.

اذا فالعلوم الانسانية هو مصطلح اختالي يعني علوما تدرس الظواهر الانسانية في مختلف أبعادها، والقصد بالظواهر الانسانية هنا أحواله المعنوية ومحيطه المعاش، وعليه تم تقسيم العلوم الانسانية أيضا الى علوم انسانية تعنى بأحوال الانسان الفرد، وعلوم اجتماعية تعنى بأحوال الجماعة الانسانية، لكن عموما يمكن استخدام لفظ العلوم الانسانية لجمع العلوم الانسانية والاجتماعية معا، من حيث أنه المصطلح الأكثر رواجا.

تضم العلوم الانسانية عديد المجالات المعرفية والتخصصات من قبيل علم النفس، علم الاجتماع، الفلسفة، الانثروبولوجيا، علم التاريخ، علوم الاتصال، وأيضا يمكن أن تضم علوم الاقتصاد وعلوم السياسية وغيرها من الملحقات الأخرى التي تعنى بالظواهر الانسانية في أحوالها المعنوية.

ان الحديث عن "علوم انسانية" يعني الحديث عن أن الظواهر الانسانية تصبح موضوعا علميا، بما يتبع ذلك من مناهج ونظريات وقوانين تفسيرية. ومعلوم أنه من شروط وصف مجال معرفي معين بأنه "علم"، هو ضرورة أن يقبل أو يكون له "منهج علمي". والمنهج العلمي هو مجموعة الخطوات التي تنتهي بتجربة تقود الى استخراج قانون علمي يفسر ظاهرة معينة. بمعنى أن المنهج العلمي هو المنهج

التجريبي أو ما يسمى بصيغة فلسفية ب"منهج الاستقراء". وهنا يطرح أهم سؤال في سياق العلوم الانسانية، وهو: هل يمكن التجريب في الظواهر الانسانية؟ وبأي معنى يمكن اعتبار العلوم الانسانية علوما قائمة بذاتها؟

4. تاريخية العلوم الانسانية

لم يكن البحث في الظواهر الانسانية والاجتماعية وليد لحظة تاريخية معينة، فقد كان التفكير الانساني عموما سواء في اشكاله المتقدمة أو البدائية يطرح اسئلة تتعلق مباشرة بالظواهر الانسانية، ونجد ذلك ظاهرا في الأديان والفلسفات القديمة، وقد تطور البحث في الظواهر الانسانية مع تطور الفكر الفلسفي عبر التاريخ، حتى وصل الى مرحلة الانفصال عن الفلسفة، وكان تلك المرحلة بالذات هي لحظة ميلاد "العلوم الانسانية".

"بدأت العلوم الإنسانية في الظهور منذ العصور الوسطى ولكنها تطورت بصورة كبيرة في القرن الخامس عشر في عصر النهضة. وبدأ يستخدم "studia humanitatis" الدراسات الإنسانية، من قبل متخصصين علوم إنسانية الإيطاليين، وشملت العديد من الدراسات، وهي البلاغة والشعر والتاريخ والفلسفة الأخلاقية والدراسات اليونانية واللاتينية القديمة. ثم بدأت تتطور في القرن الثامن عشر لتشمل موضوعات أكثر اتصالًا بالتجربة الإنسانية وليس مجرد اللغة والنصوص الجافة. وفي القرن التاسع عشر بدأ هذا التخصص ينفصل عن العلوم الأخرى لتتسع لتشمل الظواهر الإنسانية وما يتصل بالإنسان من الداخل وفي تفاعله مع البيئة من حوله"[1].

"كما هو معلوم لا علم بدون منهج، وليس هذا فقط بل لا يمكن للعلم أن يتطور إلا بإعادة مراجعة مناهجه وتجديدها بحسب ما تفرضه التحديات المعرفية لكل عصر، وعلى إثر ذلك بدأ يبرز توجه علمي جديد ينتقد الميتافيزيقا وتفسير الظواهر الطبيعية من خارج واقعها، بتبني الاستقراء كمنهج في الدراسة، وتبلورت هذه النزعة خاصة مع بداية القرن 17م مع جهود "فرنسيس بيكون" (1626م) في تأسيسه للمنهج الاستقرائي التجريبي، وبذلك "ظهرت حدة الصراع بين الفلسفة والعلم، بحجة أن العصر الحديث يرفض الأبحاث النظرية، ليفسح المجال للاكتشاف العلمي ثم سادت النزعة التجريبية الاستقرائية في مواجهة القياس او "المنطق الارسطي" وهذا ما سرع وتيرة التطور في العلوم الطبيعية

[1] https://www.hotcourses.ae/ (تاريخ التصفح : 13-11-2023 ... على الساعة 12:42)

وتحقيق انجازات هائلة في الفيزياء والفلك والكيمياء، وحتى العلوم الرياضية استفادت من هذه التطورات العلمية لتجديد مناهجها وتصوراتها لتكون لغة العلم الدقيقة.

في خضم هذا التطور العلمي المذهل والمتسارع في مجال العلوم الطبيعية بتطبيقها المنهج التجريبي، بدأ التفكير في إمكانية توسيع تطبيقه على مجالات معرفية أخرى لا سيما ما تعلق منها بدراسة الظواهر الإنسانية من أجل تفسيرها ومعرفة القوانين التي تحكمها على مستوى الفرد والجماعة، وهذا ما تم تجسيده في إقامة علوم اجتماعية في العصر الحديث"[2].

فكان القرن التاسع عشر، عصر انبثاق العلوم الانسانية بامتياز، فانبثق علم الاجتماع أولا من رحم الفلسفة الوضعية، وبالتحديد على يد الفرنسي "أوغست كونت"، الذي علم على تطبيق المنهج التجريبي في الفلسفة التي كانت تختص بدراسة الظواهر الانسانية والاجتماعية، فظهر علم الاجتماع كفرع علمي مؤسس انطلاقا من تلك المحاولة.

نشأ علم النفس الحديث كعلم مستقل عام 1879، حيث أسس ويليان فونت "عام 1879" أول مختبر لعلم النفس التجريبي في ألمانيا لدراسة للظواهر النفسية ودراستها بشكل منظم واستخدام المنهج العلمي كأي علم طبيعي، وقد أصبح علم النفس كفرع من فروع وتصنيفات المعرفة له خصائص وأهداف خاصة به. ولكن النشأة الفعلية ل"علم النفس" كفرع علمي مؤسس كان مع سيغموند فرويد وتأسيسه لمدرسة "التحليل النفسي"، أول مدرسة فكرية مختصة بدراسة "علم النفس"، في بدايات القرن العشرين.

وقادت التطورات العلمية المختلفة في القرن العشرين الى ظهور عديد المدارس والنظريات في علم الاجتماع وعلم النفس، وكذلك في دراسات التاريخ، وهو ما أثمر ظهور مجالات معرفية جديدة تعنى بدراسة الظواهر الانسانية، من قبيل الإثنولوجيا، والأنثروبولوجيا...

---

[2] خيرة عبد العزيز، العلوم الإنسانية وإشكالات النشأة: من الفلسفة إلى العلم، مجلة دراسات في التنمية والمجتمع، المجلد 07، العدد 03، سنة 2022، ص25

كترتيب زمني للتطور نحو "العملية"، يمكن القول أن الرياضات هي أول مجال معرفي استوفى الشروط الابستيمولوجية لتصنيفه كعلم، وتبعه العلوم الطبيعية، المادية ثم الحية، لتلتحق الظواهر الانسانية والاجتماعية بآخر المطاف الى سياق العلوم، فظهر علم الاجتماع، علم النفس، الانثرولولوجيا وغيرها...

وقد قادت المكتسبات الجديدة التي أثمرت عنها العلوم الانسانية الى ثورات معرفية جديد غيرت نظرتنا الى التاريخ، الانسان، والمجتمع ومختلف الظواهر الانسانية.

المحور الثاني

1. اشكالية طبيعة المعرفة

تعد اشكالية طبيعة المعرفة أحد الاشكاليات الرئيسية في مبحث المعرفة وأحد اهم المواضيع التي دارت حولها النقاشات الفلسفية والدراسات الابستيمولوجية منذ القديم، حيث تنطلق هذه الاشكالية من سؤال ما طبيعة المعرفة ؟ وكيف يمكن تحصيلها ؟

تدور اشكالية طبيعة المعرفة عموما حول محورين، الأول يبحث عن طبيعتها من حيث الدرجة بين المطلق والنسبي، والثاني يبحث طبيعتها من حيث النوع بين النزعات المادية والتجريدية.

1. 1. المعرفة بين المطلق والنسبي

أ. المعرفة المطلقة:

المطلق في تعريفه القاموسي يعني "التام أو الكامل المتعري عن كل قيد أو حصر أو استثناء، كالضرورة المطلقة ، والخير المطلق ، والجمال المطلق ، والوجود المطلق ، والسلطة المطلقة. وهو أيضا مرادف للقبلي a priori [3]".

والمقصود بالمعرفة المطلقة أنه يمكننا الوصول الى المعرفة الصحيحة الكاملة في كل الأحوال، أي أنه يمكننا الوصول الى الحقيقة، وأن المعرفة في هذه الحال تعبر هنا عن الحقيقة.

تجد المعرفة المطلقة في المرجعية الدينية أو "العقل" مرجعا لها. ويتصور القائلون بهذا النمط من المعرفة، أن المعرفة الصحيحة تكون هنا صحيحة في كل أحوالها وصالحة لكل زمان ومكان، ولا يطرأ عليها التغير أو الفساد.

---

[3] جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ج2 ، ص388

ب. المعرفة النسبية

النسبية هي "إحدى وجهات النظر الفلسفية التي تنحو الى أن قيمة ومعنى المعتقدات الانسانية والسلوك الانساني ليس لها أي مرجعية مطلقة تقوم بتحديدها ، فعلمية تقييم المجتمعات الانسانية للقيم والسلوكيات هي نتاج النسيج التاريخي الثقافي لهذه الجماعة البشرية وليس لها علاقة بمرجعية خارجية مطلقة ، تمد هذا التقييم بقدسية معينة[4]". بهذا المعنى فالنسبية هي نقيض المطلقية.

المعرفة النسبية تعني أن المعرفة احتمالية قابلة للشك، وأن المعارف والعلوم ونتائجها المختلفة قابلة للشك والتحقيق، لأنها في النهاية لا تطابق الحقيقة المطلقة، بل تعتبر معارف لها سياقها الزماني والمكاني، وهي قابلة للنقض والتقييم.

قالت الفلسفة الشكية بالنزعة النسبية، وشكّكت في امكانية الوصول الى المعرفة، معتبرة الوصول الى الحقيقة المطلقة أمرا متعذّرا وغير ممكن. ومع تطور المنهج العلمي والتجريبي تمت القطيعة مع التفسيرات الدينية والمنهج العقلي والنزعة المطلقة بالعموم، والاتجاه للنسبية. وبالتالي يمكن القول أن المنهج العلمي يقوم على النزعة النسبية.

---

[4] مصطفى حسيبة ، المعجم الفلسفي ، دار أسامة للنشر و التوزيع ، الأردن ، عمان ، ط1 ، 2009 ، ص623

1. 2. نوع المعرفة

أ . المعرفة العقلية

في مذهب المعرفة العقلية يظهر فصل ثنائي بين مستويين وعالمين، عالم المادة أو الواقع، وعالم المعقولات و العقل. حيث ترد الحقيقة الى عالم العقل، بينما يكون لعالم المادة والواقع وجود ثانوي، بحيث يكون نتيجة لعالم المعقولات. وقد كان من أهم ممثلي هذا المذهب افلاطون وديكارت.

قسم أفلاطون العالم الى قسمين: العالم الأرضي، عالم المادة والتغير والفساد، وعالم المثل حيث توجد المعقولات والحقائق. وبالنسبة للانسان فإن النفس هي الجزء الخالد فيه تنتمي الى عالم المثل، في حين أن الجسد الفاني ينتمي للعالم المادي. أما ديكارت فقد جعل من الانسان ثنائية، عقل وجسد، الجسد يخضع لضروريات العالم الفيزيائي، وفي العقل توجد المعارف والحقائق الصائبة.

عموما في مذهب المعرفة العقلية فان ***المعرفة موجودة فطريا في العقل***، وأبرز مثال عن هذا الأمر المعارف الرياضية التجريدية وعديد المفاهيم الميتافيزيقية الأخرى التي اتفق البشر على وجودها بدون أن يكون لها امتداد مادي في عالم الواقع. المعرفة في المذهب العقلي هي معرفة مطلقة، لأن أصلها مطلق. والحقيقة يمكن ادراكها من خلال العقل.

ب. المعرفة الحسية

الحس من الحواس الخمسة، والمذهب الحسي هو المذهب المقابل للمذهب العقلي، والذي يقول بأولوية عالم المادة على عالم المجردات. والمذهب الحسي في الفلسفة هو الذي يقول إن المعرفة محصورة بما تتلقاه الحواس الخمس، لهذا سمي "مذهبا حسيا". وعليه فإن كل التصورات العقلية مقتبسة من المعلومات التي تقدمها له الحواس، ولا مصدر للمعرفة الى ما يمكن ادراكه بالحواس.

وأبرز ممثل للمذهب الحسي هو الفلسفة المادية والمنهج التجريبي، هذا الأخير الذي يقول إن التجربة هي المصدر الوحيد للمعرفة من خلال توظيف المدرَكات الحسية في التجربة، من خلال الملاحظة واعتماد خطوات المنهج التجريبي وصولا الى النتيجة الصحيحة.

المعرفة في المذهب الحدسي هي معرفة مكتسبة، وليست فطرية ويعبر "جون لوك" عن هذا التصور بقوله "أن العقل هو صفحة بيضاء"، يتم ملؤها بما يتعلمه الانسان من مكتسبات ومعارف يتلقاها من محيطه الخارجي الذي يدركه بحواسه.

ج. المعرفة الحدسية

الحدس هو نمط من أنماط الاستدلال العقلي الخاص، وهو نمط معرفة مباشر لا يُكتسب بالتجربة أو بالاستدلال العقلي. وبالتالي فإنه يمثل نمطا ثالثا أو طريقا ثالثا من طرق المعرفة.

ما نعنيه هنا بالحدس هو تلك الرؤية الكلية المباشرة للمعاني العقلية المجردة، بما يتبعه من قدرة على إدراك الماهيات. وبهذا المعنى يمثل الحدس نوعا من "المعرفة الميتافيزيقية" المجاوزة لإدراكات الحواس ونشاط العقل. "وهو الانتقال السريع للذهن من المبادئ إلى المطالب، ويعرّفه ديكارت بأنه عمل عقلي يدرك به الذهن حقيقة ما بشكل تام وبزمن واحد، أي بدون تدرج في الاستدلال، فهذا النوع من المعرفة يحصل تلقائيا في الذهن بمجرد تصور أمر ما ودون استدلال منطقي، ويضرب أهل المنطق على ذلك مثالا بقولهم إن مجرد رؤية أحدنا لشعاع ضوء يتسلل من ثقب في جدار يدفع الذهن للاعتقاد مباشرة بأن هناك مصدرا للضوء وراءه دون تفكير ولا تأمل.

أما الفيلسوف الفرنسي هنري برغسون (توفي في 1941م) فقد وضع مذهبا فلسفيا جديدا في القرن العشرين على مفهوم الحدس، معتبرا أن الحدس عند الإنسان يشبه الغريزة عند الحيوان، وهو أمر لا يمكن التعبير عنه بالكلمات بل يجب تذوقه ومعايشته واختباره من قبل كل شخص على حدة حتى يكتسب به المعرفة"[5].

[5] مصادر المعرفة https://al-sabeel.net/ (2023-11-21 على الساعة 12:35)

يظهر الحدس في أنماط معرفة خاصة مثل المعرفة البرهانية، التي ترافق أنماط الفكر الصوفي، وفيه تظهر مفاهيم خاصة من قبيل الإلهام، البصيرة، البرهان وغيرها من المفاهيم التي ترمز لأشكال معرفة تحصل مباشرة. وهي يمكن ان تصورها أنها ذات طبيعة دينية أو طبيعية.

2- اشكالية المنهج في العلوم الانسانية

يقودنا البحث في التطور التاريخي للعلوم، الى القول أن اخر العلوم ظهورا هي العلوم الانسانية، وذلك كما وسبق ذكر في المحور السابق وفي عنصر (تاريخ العلوم الانسانية)، راجع لتداخل علاقتها مع مجالات اهتمام الفلسفة التقليدية، وأيضا راجع لأن المواضيع التي تعالجها وهي الظواهر الانسانية يصعب فيها تحقيق الشروط الابستيمولوجية للعلم أكثر بكثير من مواضيع العلوم المادية الأخرى. والشرط الابستيمولوجي الأساسي هنا الذي يجعل من العلم علما هو توفر وتطبيق المنهج العلمي فيه، وقد سعت محاولات علمنة الظواهر الانسانية الى تطبيق المنهج العلمي فيها، إلا أن الأمر لم يكن بمثل تلك البساطة، فقد تم الاصطدام بخصائص الظواهر الانسانية، ولم تكن النتائج فيه بنفس ما كانت عليه في العلوم المادية، وعلى هذا يطرح السؤال: ما هي العوائق الابستيمولوجية والمنهجية التي تواجه علمنة الظواهر الانسانية؟

أول ما يمكن تمييزه في الظواهر الانسانية هي طبيعة الموضوع الذي تعالجه وخصائصه، وطبيعة الموضوع هنا تقودنا الى الجانب المعنوي ومختلف النظم الاجتماعية للحياة الانسانية، وهي ظواهر لها خاصيتها، لا بل انها مرتبطة بخصوصية ذاته عن باقي الموجودات، فما هي هذه الخصائص.

- **الوعي**: Conscience ليس الوعي مفهوما بسيطا، لأنه مصطلح فلسفي بامتياز، حيث يمكن ان نجد تعريفات متنوعة عن الوعي. يمكن تعريف الوعي اختصارا بأنه عبارة عن خاصية انسانية قوامها الإحساس والدراية بالوجود الداخلي والخارجي، حيث يعي الانسان ذاته ومحيطه. والوعي هنا يكون تعبيرا عن تفعيل القدرات الادراكية والارادية والعقلية للانسان، ونقيضه الغياب عن الوعي، مثلما نجده في حالة النوم.

- **الادراك**: perception وهو أيضا مفهوم فلسفي، واقد اختلف الفلاسفة في مصدره بين الحس والعقل، فقالوا بالادراك الحسي والادراك العقلي. وعموما يمكن تعريفه على أنه عملية معقدة تتضمن العديد من العمليات العقلية التي تحدث في الدماغ بما يساهم في تحصيل

المعلومات، وفهمها. والادراك هو ملكة تصل الانسان بعالمه الخارجي وبذاته، بحيث أنه من خلال ادراكه يعي وجوده ووجود ما حوله.

أما **علميا** فإن الادراك يعرف على أنه: معالجة الدماغ للمعلومات التي تأتي من الحواس، بحيث يقوم النظام العصبي المركزي المعقد على تحديد وتنظيم وتفسير المعلومات لفهم العالم المحيط بنا.

– **التغير**: ان الظاهرة الانسانية هي ظاهرة تاريخية في جوهرها، خاضعة لمحددات تغير الزمان والمكان بدرجة كبيرة، تجعل من الصعب موضعتها وتطبيق المنهج التجريبي فيها وفق النموذج المخبري.

– **الشرط الانساني**: للانسان خصائص مميزة فريدة فهو كائن قابل للنمو عبر مراحل عمرية مختلفة الخصائص، وهو عضو في جماعات ومجتمعات قابلة للتأثر والتأثير المتبادل كما أنه لايتأثر فقط بالبيئة الخارجية من نظم دينية واجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية بل يتأثر باستعدادات وقوى بيولوجية ووراثية في غالبها تكون غير قابلة للضبط أو الملاحظة المباشرة.

بمعنى آخر فإن طبيعة الانسان والظواهر الانسانية ذاتها هي ما يمثل عائقا أما علمنة الظواهر الانسانية، بحيث يصبح من الصعب والعسير تطبيق خطوات المنهج التجريبي عليه، ولكن مع ذلك فقد دار هنالك جدل حامي الوطيس بين المدافعين عن تطبيق المنهج التجريبي في الظواهر الانسانية بطريقة مباشرة، وبين القائلين بضرورة الأخذ بعين الاعتبار بخصوصيات الظواهر الانسانية.

في هذا السياق يمكن أن نميز بين تيارين :

القائلين بتطبيق المنهج التجريبي كمنهج للعلوم الانسانية مباشرة:

مع **أوغست كونت Auguste Comte** وفلسفته الوضعية التي ترى بأن العلم هو منهج المعرفة الصحيحة الوحيد الممكن ولدت العلوم الانسانية الحديثة، فقد آمن كونت ومن سار سيره من الوضعيون أن تطبيق المنهج العلمي على الظواهر الانسانية ممكن، لا بل ان تطبيق المنهج

العلمي على الظواهر الانسانية هو فقط من سيسمح لاكتشاف القوانين الصحيحة التي تفسر الظواهر الانسانية والاجتماعية. وفي هذا السياق يرى الوضعيون أن الانسان جزء من كل، أي جزء من المجتمع والنظم التي تؤكر سير حياته بعامة، وفهمه يتطلب فهم الأولى. وعلى هذا سار **"ايميل دوركايم" Émile Durkheim** في محاولته لتأسيس علم اجتماع كفرع اكاديمي قائم بذاته، حيث آمن دوركايم بمشروعية وأهمية تطبيق المنهج التجريبي في دراسة الظواهر الانسانية، وبقدرته على قيادتنا الى معرفة حقائق الانسان والمجتمع، لهذا فقد جعل من مهمة علم الاجتماع هو استكشاف بنية "الحقائق الاجتماعية". معتبرا أن الحقائق الاجتماعية ظواهر يمكن موضعتها (موضوعية) يمكن لعلم الاجتماع دراستها بطريقة مشابهة لكيفية دراسة العلوم الأخرى كعلم الفيزياء والعالم المادي.

أما **"سيغموند فرويد" Sigmund Freud** أهم منظري علم النفس الحديث، فقد قسم النفس الى النفس الى جزئين، جزء واعي تحكمه الارادة والوعي، وجزء غير واعي، تحكمه الغرائز والمكبوتات، وأعتبر فرويد أن الجزء الغير الواعي يغلب الى الجزء الواعي عند أغلب البشر، وهذا الجزء الغير الواعي ذاته هو ما أعتقد فرويد أن يمكن موضعته وإخضاعه للتجارب السريرية وبالتالي الى المنهج العلمي، كما أعتقد فرويد انه من خلال استخدام العقاقير وابتداع طرق علمية في التنويم المغناطيسي، فانه يمكن فتح بوابات المكبوتات لدى الانسان، وبالتالي امكانية تشخيص ومعرفة أسباب مختلف الأعطاب والعلل النفسية التي تصيبه. وبهذا يظهر علم النفس التحليلي كمحاولة لتطبيق المنهج التجريبي على الظواهر النفسية.

في القرن العشرين ظهر **المنهج البنيوي** structuralisme كمنهج علمي مختص بالظواهر الانسانية والاجتماعية، ومع تطورت الدراسات الانثروبولوجية وخصوصا مع كلود ليفي ستروس Claude Lévi-Strauss. وتتمثل خطواته في جمع الحقائق المتفرقة وتحليلها وترتيبها، ثم في خطوة موالية تصنيف المعلومات والبحث عن الروابط والعلاقات الداخلية التي تربط مكونات الموضوع المدروس(البنية). وفي الخطوة الثالثة تركيب الأجزاء في كيان واحد، أي

عناصر الموضوع في نسق الواحد (البنية). بالتالي فللمنهج البنيوي هنا ثلاثة خطوات: الأولى هي الملاحظة والوصف، الثانية هي تحديد العلاقات والروابط، والثالثة هي التركيب في نسق كلي(بنى).

بالنسبة للبنيوية فإن الظواهر الاجتماعية عبارة عن أنساق وبنى، لفهم كل منها يجب تحديد العلاقات التي تربط أجزاءها ببعضها، لمحاولة الوصول الى تحديد القوانين العامة التي تتحكم في الظاهرة المدروسة.وهذا ما يعني اتطبيق الاستقراء، أي الانتقال من الجزء الى الكل، وهو عينه نهج المنهج العلمي.

القائلين بخصوصية مناهج العلوم الانسانية:

ان تطبيق المنهج التجريبي على الظواهر الانسانية لم يقد الى نتائج ونظريات متماسكة مثلما قاد اليه تطبيق نفسه المنهج في العلوم المادية، "فإذا كانت العلوم الطبيعية تسعى إلى صياغة قوانين عامة، كلية ومطلقة، فإن غاية ما تسعى إليه العلوم الإنسانية، هي بناء قوانين وقواعد تقريبية واحتمالية، تفتقد إلى الكلية واليقين المطلق. لذلك، فلا يمكن القول إن العلوم الإنسانية يمكن أن تصل إلى قوانين مماثلة لتلك القوانين التي تصل إليها العلوم المادية، فحين لا يكون الموضوع قابلا للدراسة العلمية، فلا فائدة عندئذ من اصطناع أدق المناهج"[6]. وعلى هذا تظهر اشكالية مقلقة في تطبيق المنهج التجريبي على الظواهر الانسانية، ألا وهي اشكالية ملائمة الموضوع. وفي هذا السياق ظهرت عدة مساهمات فلسفية في السياق تبرز خصوصية الظواهر الانسانية وتقترح تطبيق مناهج بديلة أو ملائمة لطبيعة الظواهر الإنسانية، فكان من أبرزها:

دليتاي :

الفيلسوف والمفكر الألماني فلهلم دلتاي Wilhelm Dilthey ، والذي ينتمي الى تيار فلسفة الحياة، له اسهام كبير ومهم في تطور مناهج العلوم الاجتماعية، من حيث أن الفرق بين الموضوعين،

---

[6] علي صديقي، إشكالية المنهج في الدراسات الإنسانية والأدبية، الملتقى الفكري للابداع http://www.almultaka.org/site.php?id=716&idC=2&idSC=8) تم التصفح بتاريخ 2023/12/03 على الساعة (18:12

أي بين مواضيع العلم المتمثلة في الظواهر الطبيعية والمادية وبين مواضيع العلوم الانسانية المتامثلة في الظواهر الانسانية يتبعه فرق في أنماط المعرفة، فالعلوم الطبيعية والمادية يتم التعامل معها من خلال **التفسير** أما العلوم الانسانية فانها تحتاج **الفهم**. اذا فالعلوم الطبيعية والمادية تحتاج الشرح والتفسير، في حين في العلوم الانسانية تحتاج الفهم، ومنه اختلاف المناهج بينهما وضرورة مراعاته هاته الفروق.

"إن هذا التعارض بين "الفهم" و"التفسير"، هو نفسه التعارض بين منهج العلوم الطبيعية ومنهج العلوم الإنسانية، لأنه إذا كان المنهج الأول يستند إلى التفسير، فإن المنهج الثاني يقوم على الفهم: "إن الكلمة الأساسية في التأويل أو الدراسات الإنسانية هي الفهم، والفهم كلمة متميزة من التعليل الذي يقوم عليه العلم الدقيق. الفهم معوله على الربط بين الجانب الداخلي والجانب الخارجي. العلم يعلل، والدراسات الإنسانية تتفهم الحياة أو التجربة". إن "الفهم" يتجاوز حدود الواحدية المادية، ويرفض تسوية الظاهرة الإنسانية بالظاهرة الطبيعية/المادية، وينظر إلى الإنسان على أنه ظاهرة متجاوزة وفردية وذات خصوصيات، وهو ما يعني أنه لا يمكن تفسيرها أو تعليلها أو دراستها من الخارج، أو صياغة قوانين عامة حولها كما نفعل مع الظواهر الطبيعية، وإنما ينبغي النفاذ إلى أعماقها ودراستها من الداخل قصد تأويلها وفهمها"[7].

ومن هنا ولدت المناهج التأويلية، أو "الهيرمونيطيقا" Hermeneutics التي تحاول ايجاد مناهج تلائم روح الظواهر الانسانية، وفي نفس الوقت تسمح بوجودها كعلوم قائمة بذاتها.

يرى الفيلسوف الألماني مارتن هايدغر Martin Heidegger، "أن العلم لا تفكر"، وهي عبارة القصد بها أن العلوم الدقيقة وان كانت تنتج نظريات وعلوم ومعارف وتكنولوجيات وآليات ، فان مهمتها تنحصر الى انتاج التقانة والتطوير الداخلي للعلوم كل في مجالها، وبالتالي فهي لا تفكر ولا تتأمل في اشكاليات الوجود ومآلات تلك النظريات ومنتجاتها، فلا تربطها بالسياقات الحياتية والحي ط المعاش ولا تتساءل عن مآلات وعطالاتها وغاياتها وكيفيات توظيفها. وهذا الأمر تعنى به أنماط التفكير الفلسفي الذي يتطلب فهما وتأملا لمختلف الظواهر الانسانية ، وبالتالي فهنالك خصوصية

---

[7] علي صديقي، إشكالية المنهج في الدراسات الإنسانية والأدبية، الملتقى الفكري للابداع
(http://www.almultaka.org/site.php?id=716&idC=2&idSC=8 تم التصفح بتاريخ 2023/12/03 على الساعة 18:12)

موجودة تفرق بين دراسة الظواهر المادية والطبيعية وبين دراسة الظواهر الانسانية، وهو البعد الوجودي والخصوصية الانسانية للظواهر الانسانية بعامة، ذلك البعد الذي يستعصي حصره في المناهج التجريبية النمطية.

3. اشكالية الموضوعية في العلوم الانسانية

اول اشكالية تواجهنا في معالجة اشكالية الموضوعية هي تحديد معنى للموضوعية ذاتها، حيث تعرف الموضوعية عموما على أنها :"غياب كل عوامل التحيز وكف لتأثيرها ... وهي ما ينتج عن التأثير المناوئ للاستخدام السليم للشواهد والبينات المتاحة للباحث، وهو تأثير دوافع الشخص وعرفه وقيمه وموقفه الاجتماعي، فأن تكون موضوعيا معناه ألا تتأثر بدوافعك وعرفك وقيمك وموقفك الاجتماعي. غير أن الاقتصار على هذا التحديد "السلبي" للموضوعية أمر لا يدعمه المنطق، فالموضوعية العلمية موقف وحكم، ولا يمكن أن تكون امتناعا عن اتخاذ موقف، أو توقفا عن اصدار حكم، بل تدل لفظة الموضوعية على محتواها دلالة مباشرة، فالحكم الموضوعي حكم قد التزم بالموضوع"[8]. أي الظاهرة المدروسة.

الموضوعية من الموضوع، أي التركيز على الموضوع، وهي تعني بصفة أخرى نقيض الذاتية، التي تجعل من الذات هي الأصل والموضوع هو التابع، في حين أن النزعة الموضوعية تجعل من الموضوع سابقا على الذات. بمعنى آخر فالموضوعية تجعل من الموضوع مركزا، والنزعة الذاتية تجعل من الذات مركزا. والموضوعية بتعريف لغوي تعني التركيز على الموضوع.

فإذا كان من الشروط الابستيمولوجية لاعتبار العلم علما أم يكون له منهج علمي، فإن من شروط المنهج العلمي هو أن يخضع للنزعة الموضوعية، فالمنهج العلمي منذ منعطف الأورغانون الجديد، وميلاد المنطق العلمي الحديث هدفه تجاوز النزعات الذاتية، والاتجاه نحو الموضوعية، التي من شأنها أن تزودنا بالمعارف العلمية الصحيحة، من خلال التجرد من الأحكام المسبقة والأهواء والتحيزات التي تمثل أهم سمات النزعة الذاتية، والتوجه نحو جعل الظاهرة المدروسة هي مركز الدراسة والأحداث وهذا ما يمثل أهم منطوق للنزعة الموضوعية.

واليوم نجد أن الموضوعية قد أصبحت تربط بالعلم والمناهج العلمية أشد الارتباط، فحين نتحدث عن الموضوعية نتحد عن دراسات ذات طابع علمي، فأصبحت الموضوعية هي الشرط الضروري لكل ما

---

[8] صلاح قنصوة، الموضوعية في العلوم الانسانية: عرض نقدي لمناهج البحث، ص ص 65-66

يمكن اعتباره تفكيره علميا، ولم تنحصر الموضوعية هنا فقط، بل انها تعدت كونها مجرد نزعة ابستيمولوجية لترتبط بغاية الحقيقة، فأصبح الحديث عن الحقيقة مرتبطا بالحديث عن الموضوعية وكذلك اصبحت الموضوعية ترتبط بكل ما يمكن اعتباره إيجابيا في مجال القيم مثل الحياد، المساواة، العدالة، النزاهة وغيرها من القيم الأخلاقية. وتعدت الموضوعية مجال المعرفة والقيم لتصل حتى مجال الاشكالات الوجودية، فأصبح الحديث متداولا عن الموضوعية في الدين وغيرها.

لكن ومع زيادة أهمية مفهوم الموضوعية في عالمنا المعاصر، فإنه ومثلما سبق الاشارة اليه في محور اشكالية المنهج في العلوم الانسانية، فإن تطبيق الموضوعية في العلوم الانسانية بقي أمرا اشكاليا، لا بل إن اشكالية الموضوعية هذه تعد نواة اشكالية المنهج في العلوم الانسانية، أم الاشكاليات الابستيمولوجية في المجال. فماهي طبيعة اشكالية الموضوعية في العلوم الانسانية ؟

يمكن أن تطرح مشكلة الموضوعية في العلوم الانسانية من غير أن يشار الى طرحها باسم الموضوعية، فمثلا اشكالية أولوية الظواهر الانسانية على الاجتماعية أو الجماعية على الفردية في دراسة العلوم الانسانية هي اشكالية تطرح سؤال الموضوعية، لان القول بأسبقية المجتمع عن الفرد أو القول أن الفرد هو جزء منفعل من الكل المجتمع هو في النهاية محاولة لموضعة الدراسات الانسانية من بوابة دراسة بنية المجتمع والعلاقات التي تسير اجزاءه، والقول بالعكس أي بأسبقية الفرد عن المجتمع، وأن الأفراد هم صناع المجتمعات يعني القول بكل ما يتبع خصوصية الانسان الفرد من وعي وادراك وقدرات عقلية وغيرها ... ، والتي تمثل عوائق ابستيمولوجية أمام موضعة الظواهر الانسانية، بالتالي تظهر اشكالية الموضوعية هنا كأهم اشكالية في ابستيمولوجية العلوم الانسانية، ويمكن ان تتخذ كذالك اشكالا وصورا مختلفة قد لا يشار فيها مباشرة للفظ "الموضوعية".

صحيح كذلك أن الموقف التقليدي في اشكالية الموضوعية يدور بين منكر لقيامها في العلوم الانسانية وبين مؤكد لضرورة وجودها، إلا أن الحديث عموما عن علوم انسانية يعني الحديث عن قدر معين من الموضوعية فيها، سواء كان الأمر يتعلق بالقول بان الموضوعية شرط ضروري في العلوم الانسانية، أو القول بموضوعية خاصة تلائم طبيعة العلوم الانسانية، أو حتى القول بحدود تتداخل فيها الموضوعية

مع الظاهرة الانسانية. حيث أن نفي الموضوعية بالتمام والكمال يعني في النهاية نفعي علمية الظواهر الانسانية، ومعه نفي امكانية قيام انسانية من أصله وعليه تظهر ثلاثة فرضيات تعالج اشكالية الموضوعية في العلوم الانسانية، كل فرضية منها تضم مجموعة من النظريات والمقاربات:

- الموضوعية شرط ضروري للعلوم الانسانية مثلما هو الحال عليه في العلوم الطبيعية (موضوعية العلوم الانسانية):

هنا يتموقع كل من يقول بعلمية الظواهر الانسانية، فنجد المدرسة الوضعية، والبنيوية والوضعية المنطقية وغيرها التي ترى بامكانية وضرورة تطبيق المنهج التجريبي على الظواهر الانسانية، لانها مثل غيرها من الظواهر المادية والطبيعية تقبل الموضعة. ولأن كل علم يجب أن تتم دراسته كموضوع، فان الموضوعية تصبح شرطا ضروريا لعلمية العلوم الانسانية، مثلما هو الأمر عليه في باقي العلوم الطبيعية الأخرى.

- الظواهر الانسانية تحتاج لموضوعية تلائم طبيعتها (اختلاف الشروط الابستيمولوجية في العلوم الطبيعية والانسانية):

في هذا السياق نجد محاولات حاولت بيان خصوصية الظاهرة الانسانية، وأنها يمكن أن تكون علوما لكن على منوالها، وفي هذا السياق رأينا كيف فرق دلتاي بين نمط التفسير كطريقة للتعامل مع العلوم الطبيعية والمادية وبين نمط الفهم كطريقة للتعامل مع العلوم الانسانية. وفي هذه المقاربة نصل لأن مفهوم الموضوعية في العلوم الانسانية يختلف عنه في العلوم الطبيعية ، فنصبح أمام مفاهيم متعددة للموضوعية

- الظواهر الانسانية تقبل الموضوعية جزئيا (حدود التداخل والتخارج):

هذا التوجه يرى بأنه يمكن تطبيق الموضوعية في الظواهر الانسانية بحدود معينة، بمعنى آخر فليست كل الظواهر الانسانية بكليتها يمكن اخضاعها للموضوعية، بل إن هنالك ظواهر محددة فقط هي ما يمكن أن تكون موضوعا للدراسة العلمية، وبقية المواضيع توضع خارج هذا المجال، وفي هذا السياق

نجد النظرية الفينومينولوجية التي تقترح منهجا يضع كل ما يمكن اخضاعه للخبرة والتجربة بين قوسين، أي تعليق الحكم عليه.

****

يمكن القول إذا أن الموضوعية المعيار الذي يمكن من خلاله الحديث عن علمية الظواهر الانسانية، وتمثل بهذا الموضوعية أهم اشكالية في منهج العلوم الانسانية، مثلما يمثل المنهج اهم اشكالية تواجها العلوم الانسانية بعامة. واذا كان الحديث عن تطبيق المنهج العلمي في الظواهر الانسانية استشكاليا، فإن الحديث عن الموضوعية في العلوم الانسانية يمثل أصل تلك الاستشكالية.

قائمة المراجع :

- جورج كانغيلام، دراسات في تاريخ العلوم وفلسفتها
- زكي نجيب محمود، المنطق الوضعي، الجزء الثاني (في فلسفة العلوم)
- ستاتس بسيلوس، فلسفة العلم من الألف الى الياء
- ستيفن غاوكروغر، الموضوعية
- صلاح قنصوة، الموضوعية في العلوم الانسانية
- مُحَمَّد عابد الجابري، مدخل الى فلسفة العلوم
- مُحَمَّد وقيدي، ماهي الابستيمولوجيا
- يمنى طريف الخولي، مشكلة العلوم الانسانية: تقنينها وامكانية حلها